حلاق أشبيلية .. جيوا كينو روسيني

Gioacchino Rossini IL BARBIERE DI SIVIGLIA

"حلاق إشبيلية" أوبرا مرحة تقوم على مسرحية الكاتب الفرنسي "بومارشيه" Beaumarchais التي تحمل نفس الاسم، والتي استقبلتها باريس عام ١٧٧٥ بعاصفة من الإعجاب. وقد نظم كلماتها بالإيطالية "تشيزاري ستربيي" Cesare Sterbin ووضع ألحانها الموسيقي الإيطالي المعروف "جيواكينو روسيني" Gioacchino Rossin في أقل من ثلاثة أسابيع. ومع ذلك فإنها صارت أشهر أوبراته على الإطلاق. وقد قدمت لأول مرة على مسرح "ارجينتينا" بروما في ٦ فبراير عام ١٨١٦.

ومما يجدر بالذكر أن افتتاحية هذه الأوبرا كان قد وضعها روسيني لأوبرا أخرى بعنوان "إليزابيث ملكة انجلترا" Elisabetta Regina d'Ighilterra.

شخصيات الأوبرا:

الكونت المافيفا	Count Almaviva
فوريللو: خادمه الخاص	Florello
فيجارو: حلاق أشبيلية	Figaro
روزينا: فتاة ثرية يتيمة	Rosina
الدكتور باروتولو: الوصي عليها	Dr. Bartolo
بازيليو: معلم موسيقى	Basilio
برتا: مربية روزينا	Berta

زمن الأوبرا: القرن السابع عشر

المكان: إشبيلية

الفصل الأول

المنظر - ميدان في أشبيلية

في منزل أنيق بمدينة أشبيلية يقوم الدكتور "بارتولو" بالوصاية على فتاة جميلة تدعى "روزينا". وقد أثار جمال الفتاة – أو على الأصح ثراؤها – اهتمام الطبيب فشغف بها وعول على الزواج منها! إلا أن هناك شخصا آخر ينازعه قلب الفتاة وهو "الكونت ألمافيفا".

وقبل أن ينبلج الفجر، نرى "فلوريللو" خادم الكونت الخاص وقد صحب جماعة من الموسيقيين ليعزفوا أنغاما عذبة حالمة تحت نافذة روزينا. وبعد قليل يصل الكونت نفسه ويشرع في الغناء. ألا أن روينا لا تطل من النافذة، فيأمر الكونت الموسيقيين بالانصراف!

وهنا يظهر "فيجارو" حلاق إشبيلية الفضولي المرح الذي يتدخل في كل شيء، ويعتقد أنه يستطيع قضاء كل شيء! فيختبئ الكونت ليستمع إلى الحلاق وهو يغني في نشوة أغنيته المعروفة: "فيجارو هنا.. فيجارو هناك.. فيجارو في كل مكان!" فيفكر الكونت في أن يعهد إليه بدور الوسيط بينه وبين روزينا، فيخرج من مكمنه ويصرح له بحبه لروزينا، ثم يسأله عن كيفية الوصول إليها. فيجيبه الحلاق في ثقة قائلا:

فيجارو: يا لك من سعيد الحظ! فإنني أقوم في منزلها بعمل الحلاق، والطبيب، والصيدلي، والبيطار!...

وفيما هما يتحدثان، يخرج الدكتور بارتولو من المنزل ويقول لفيجارو:

بارتولو: إذا أتى السيد بازيليو فدعه ينتظرني. فإنني اليوم مشغول بزواجي من روزينا!

وإذ يرحل الطبيب، يسأل الكونت الحلاق:

الكونت: من يكون بازيليو هذا؟

فيجارو: رجل يسعى إلى تزويج الناس، ويقوم بتعليم روزينا الموسيقى!

ثم يحث الكونت على اتخاذ موقف ايجابي حاسم أن هو أراد ألا تفلت وزينا من يده، ويقترح عليه أن يغني لها مرة أخرى. فيتوجه الكونت بالغناء إلى روزينا معلنا لها أن اسمه "لندورو"! وتنصت روزينا إلى الغناء من وراء الستار، ولا تكاد تظهر وتهم بالرد عليه حتى يقطع غناءها نداء بالداخل فتختفي من جديد!

ويتملك الكونت العاشق الحنق ويطلب من الحلاق أن يساعده على دخول المنزل.

فيجارو: لقد وجدت الحل!.. هناك فصيلة من الجنود ستصل اليوم، فعليك أن ترتدي زي جندي وتتظاهر بأنك ثمل ثم تدخل المنزل وكأنك تترنح من فرط الشراب. ولسوف يصدق الطبيب كل كلمة تصدر منك!

وينتشي الكونت لهذه الفكرة، فينخرط مع الحلاق في غناء ثنائي "دويتو" مرح!

الفصل الثاني

المنظر - غرفة بمنزل الدكتور بارتولو

تجلس روزينا بمفردها حالمة تسترجع الغناء الذي سمعته تحت نافذتها. لقد أثر فيها ذلك الصوت المجهول ونفد إلى أعماق قلبها، فتغنى في نشوة:

"هناك صوت أحتفظ به في قلبي.. صوت لا يجب أن يسمعه سواي!"" وما أن تنتهي من غنائها حتى يقبل فيجارو. لكنه إذ يلمح الدكتور بالرتولو من بعيد يبتعد مسرعا. ويصل الطبيب فيؤنب روزينا قائلا:

بالرتولو: هل كنت تتحدثين مع ذلك الفيجارو اللعين؟

فتجيب روزينا في غير مبالاة وهي تهم بالانصراف:

روزينا: ولم لا؟.. إنني أميل إليه!

وهنا يظهر بازيليو – معلم الموسيقى – ويخبر الطبيب بأن "الكونت المافيفا" في المدينة!

بارتولو: ماذا؟.. ذلك الشخص الوقح الذي يغنى لروزينا في مبرق الفجر؟!. ماذا عسانا أن نفعل لنوقفه؟

فيجيبه المعلم الواسع الحيلة قائلا:

بازيليو: علينا أن نلفق له فضيحة نلوث بها سمعته!

ثم يقرر الاثنان الذهاب لإعداد عقد الزواج بين الطبيب وروزينا!

إلا أن فيجارو – الذي كان يسترق السمع من ثقب الباب كعادته – يخبر روزينا على الفور بأن الطبيب الوصي عليها يتأهب للزواج منها! فتصبح الفتاة مستنكرة: روزينا: يا له من أبله مسكينّ.. ولكن، خبرني أيها السيد فيجارو: من عسى أن يكون ذلك الشاب الذي يغني لي تحت النافذة؟!

فيجارو: أوه، انه قريب لي اسمه "لندورو".. ولكن قلبه مشغول في الوقت الحاضر!

روزينا: بمن؟

فيجارو: برو.. زي.. نا!!

وأخيرا يقترح عليها أن تكتب له خطابا مناسبا كدليل على أنها تبادله الحب. وعندما تفرغ الفتاة من كتابة الخطاب، يتسلمه الحلاق وقد غمره الشعور بالفوز. ويدخل الدكتور بارتولو فيلقي على الفتاة فيضا من الأسئلة: لماذا اتسخت يدها بالحبر، ولماذا اختفت ورقة من أوراق الكتابة، ولماذا برى القلم حديثا؟...

فتجيبه الفتاة على الفور بأنها استخدمت الحبر عندما حرقت يدها، وأنها لفت بالورقة بعض الأشياء، وبرت القلم ليساعدها على نقل نقش للتطريز! ويغمرها الطبيب بسيل من الغضب ثم ينصرف فتمضي المسكنة في أثره.

وتسمع المربية "برتا" طرقا على الباب فتتوجه إليه لترى من الطارق. وحالما ترى أمامها جنديا ثملا!.. إنه "الكونت المافيفا" الذي جاء متنكرا طبقا لخطة فيجارو! ويعود الدكتور بارتولو وبصحبته روزينا، فيصر الجندي المترنح على أن ذلك هو مسكنه! وعبثا يحاول الطبيب حمله على مغادرة المنزل، ثم يأمر روزينا بالانصراف من الغرفة، ولكن بعد أن يكون الكونت المتنكر قد نجح في أن يدس بين يديها قصاصة مكتوبة!

وهنا يقبل الحلاق مسرعا:

فيجارو: لم كل هذا؟..

وفي أعقابه يدخل ضابط وبعض الجنود فيلقون القبض على الكونت. لقد حضروا بناء على طلب الطبيب لينقذوه من الجندي المخمور، ولكن الكونت المتنكر ينفرد بالضابط ويفصح له عن شخصيته فيخلي الضابط سبيله في الحال مما يلجم ألسنة الجميع!

الفصل الثالث

المنظر - قاعة الموسيقى في منزل الطبيب

يجلس الدكتور بارتولو وهو يتنفس الصعداء بعد أن نجح أخيرا في التخلص من الجندي العربيد. وبعد برهة يسمع قرعا على الباب. إنه الكونت أيضا!.. ولكنه جاء متنكرا هذه المرة في زي معلم موسيقى!

الكونت: إنني تلميذ السيد بازيليو الذي كلفني بإعطاء درس الموسيقى بدلا منه لشدة مرضه. وإن "الكونت المافيفا" يقيم الآن في نفس الحانة التي أقيم فيها! وقد وجدت هذا الصباح خطابا كتبته إليه الفتاة التي تقوم أنت بالوصاية عليها. ولكي أساعدك سأحطم لك سمعته!

الطبيب: يا لك من تلميذ نجيب للسيد بازيليو!.. سأذهب على الفور وأنادي لك روزينا.

وبعد قليل يعود الطبيب ومعه روزينا. ولكنه لا يريد أن يجلس المعلم مع الفتاة بمفردها، فيطلب من فيجارو أن يتأهب ليحلق له ذقنه في القاعة!

الطبيب: أحضر لي منشفة، وهاك المفاتيح!

ويغادر الحلاق الغرفة، وبعد لحظات يسمع الطبيب صوت أواني ترتطم بالأرض! فيعصف به الغضب ويصيح حانقا:

الطبيب: لقد كسر اللعين الأواني الصينية!

ولكنه لا يريد أن يترك الغرفة ليعاين الخسارة حتى لا ينفرد معلم الموسيقى بروزينا!.. وأخيرا يتركهما لحظة، فيتبادل العاشقان كلمات الحب في سرعة ولهفة!

ويعود فيجارو بعد أن يخفي مفتاح الشرفة من بين حزمة المفاتيح التي أعطاها إياه الطبيب!..

ويبدأ الحلاق مهمته فيغمر وجه الطبيب بالصابون، ثم يحرك الموسى على أنغام الموسيقى الخفيفة المرحة. إلا أنه لا يكاد يمضي في عمله حتى يظهر المعلم بازيليو!

الطبيب: لماذا غادرت منزلك وأنت مصاب بالحمى؟!

ويرتبك بازيليو ولا يدرى بماذا يجيب! ولكن الكونت المتخفي يسرع بإعطائه كيسا مملوءا فيفهم بازيليو كل شيء ويتظاهر بالمرض ثم يتأهب للانصراف بين تمنيات الجميع له بالشفاء العاجل!.. "وداعا أيها السيد، ونوما سعيدا!.." ويمضي فيجارو في حلاقة الذقن متعمدا تحويل نظر الطبيب عن العاشقين!.. فيهمس الكونت لروزينا قائلا:

الكونت: سنحضر عند منتصف الليل تمام لنهرب معا، وما دامت المفاتيح معنا فلن نخاف شيئا!

غير أن الطبيب العجوز يعاوده الشك من جديد، فيأمرهم جميعا بمغادرة الغرفة، وينادي المربية برتا لتوصلهم إلى الباب. ولكن.. كلا! سوف يريهم الطريق بنفسه!

برتا: أي مستشفى للمجاذيب هذا؟!.. إن الحب لوثة من الجنون، ومع ذلك.. فأنا أيضا أحب! ويقبل الليل، فتدوي أركان السماء بعاصفة مزمجرة راعدة..

وفي النهاية يفتح خصاص النافذة، ويتسلق الكونت وفيجارو داخلين روزينا، ولشد ما تكون دهشتهما عندما تصيح بهما:

– أغربا عن وجهي أيها الصعلوكان!.. لقد بلغتما إشاعة مؤداها أن "لندورو" يريد أن يبيعها إلى "الكونت المافيفا"!

فيقترب منها الكونت محاولا تهدئتها وهو يقول لها مفسرا:

الكونت: أنا "المافيفا"، وما "لندورو" إلا مجرد اسم!

وإذ يتعانق العاشقان يصيح بهما الحلاق:

فيجارو: أسرعا لئلا يسمعنا أحد ويقف في طريقنا!

وعندما يهم الثلاثة بالنزول من النافذة يتفقدون السلم فإذا به قد اختفى! وفيما هم في حيرة من أمرهم يظهر بازيليو من بعيد ومعه الكاتب الذي أمر الطبيب بإحضاره ليكتب عقد زواجه من روزينا! إلا أن الكونت وفيجارو يعترضان طريقهما ويحملان الكاتب على توقيع عقد الزواج بين الكونت ورزينا!

الكونت: هاك خاتم ثمين إذا أتممت زواجنا، ورصاصة في رأسك إذا رفضت!

وفي النهاية يتم عقد الزواج بين الحبيبين!.. ويعود الطبيب ومعه ضابط للقبض على المشاغبين!... إلا أنهما وصلا متأخرين! فإن إزالة السلم من تحت النافذة لم يمنع العاشقين من تحقيق رغبتهما!.. وأخيرا يهدأ غضب الطبيب الجشع عندما تتنازل له روزينا عن جانب من ثروتها الدسمة!

ستار